والحين أتملى صوره الفريدة إلى أن توافرت عليه ومرجعى الأول هو المصحف لأجمع الصور الفنية فيه». ويستعرضها المؤلف، ويبين طريقة التصوير فيها، والتناسق الفنى فى إخراجها وإذا به يجد أن التصوير هو قاعدة التعبير فى القرآن الكريم.

وهكذا كان كتاب التصوير الفنى فى القرآن لسيد قطب متضمنًا الفصول التالية: سحر القرآن، منبع السحر فى القرآن، كيف فهم القرآن، التصوير الفنى، التخييل الحسى والتجسيم، التناسق الفنى، القصة فى القرآن ومن جزئياتها: أغراض القصة، خضوعها للغرض الدينى، والدين والفن فى القصة، الخصائص الفنية للقصة، التصوير فى القصة، رسم الشخصيات فى القصة، نماذج إنسانية، المنطق الوجدانى، طريقة القرآن.

هذا حديث المؤلف عن تأثير القرآن الكريم فى العرب، وهم أهل البيان، واستحواذه عليهم وهم أهل فصاحة، يقول:

«يجب إذن أن نبحث عن «منبع السر فى القرآن» قبل التشريع المحكم، وقبل النبوءة الغيبية، وقبل العلوم الكونية، وقبل أن يصبح القرآن وحدةً مكتملة تشمل هذا كله، فقليل القرآن الذى كان فى أيام الدعوة الأولى كان مجردًا فى هذه الأشياء التى جاءت فيما بعد، وكان - مع ذلك - محتويًا على هذا النبع الأصيل الذى تذوقه العرب، فقالوا: ﴿إن هذا إلا سحر يؤثر﴾».

ثم يتساءل عن السحر الذى أثار الوليد بن المغيرة فى هذه السور المكية، إنه ليس التشريع والغيبيات والعلوم الكونية فحسب، يقول المؤلف: «لابد أنه كان فى صميم النسق القرآنى ذاته، لا فى الموضوع الذى يتحدث عنه وحده، وإن لم نغفل ما فى طبيعة العقيدة الإسلامية من قوة ومن جاذبية، فهذه الخصائص إنما تتجلى من خلال التعبير المؤثر المعبر المصور.

فلننظر فى السورة الأولى: سورة العلق، إنها تضم خمس عشرة فاصلة، قصيرة، وبما يلوح فى أول الأمر أنها تشبه سجع الكهان أو «حكمة السجاع» مما كان معروفا عند العرب آنذاك!